هادي يحمد

كنت في الرقة
هارب من الدولة الإسلامية

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث

كنت في الرقة: هارب من الدولة الإسلامية
Kuntu fī al-Raqqah: Hāribun min al-Dawlah al-Islāmīyah

Author: Hādī Yaḥmad
Pages: 256
Size: 17 X 24 cm
Edition Date: 2018
Edition No.: 1st
Subject Classification: 920
ISBN: 978-614-8030-69-7

تأليف: هادي يحمد
عدد الصفحات: 256
قياس الصفحة: 17X24 سم
تاريخ الطبعة: 2018م
رقم الطبعة: الأولى
التصنيف الموضوعي: 920
الترقيم الدولي: 978-614-8030-69-7

Publisher
Mominoun Without Borders for Publishing & Distribution

الناشـــر
مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع

All rights resereved
Mominoun Without Borders Institution

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

Morocco, Rabat, Agdal
11 RUE GABES (CENTRE-VILLE)
P.O.Box 10569
Tel: +212 537779954
Fax: +212 537778827
Email: info@mominoun.com

Lebanon - Beirut
al-Hamra - Maqdisi St. - Balbisi Build.
P.O.Box 113-6306
Tel: +961 1747422
Fax: +961 1747433
Email: publishing@mominoun.com

المملكة المغربية - الرباط - أكدال
تقاطع زنقة بهت وشارع فال ولد عمير
عمارة ب، طابق 4، جانب مسجد بدر
ص.ب 10569
هاتف: 212 537779954+
فاكس: 212 537778827+
Email: info@mominoun.com

لبنان - بيروت
الحمراء - شارع المقدسي - بناء بلبيسي
ص.ب 113-6306
هاتف: 961 1747422+
فاكس: 961 1747433+
Email: publishing@mominoun.com

www.mominoun.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لاتعبر بالضرورة عن اتجاهات تتبناها
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

الموزع المعتمد في المغرب العربي
المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع
المغرب - الدار البيضاء - 6 زنقة التيكر
هاتف: 212 522810406+
فاكس: 212 522810407+
Email: markazkitab@gmail.com

«ثمّ إنّه فكّر هل رأى من الوحوش وسواها مَن صار في مثل تلك الحال ثمّ عاد إلى مثل حاله الأوّل؟! فلم يجد شيئاً فحصل له من ذلك اليأس من رجوعها إلى حالها الأوّل إن هو تركها، وبقي له بعض رجاء في رجوعها إلى تلك الحال إن هو وجد ذلك العضو وأزال الآفة عنه».

ابن طفيل (حيّ بن يقظان)

«وبدا لي التّمثال كريهاً بليداً، وأحسستُ أنّي كنت سئماً سأماً عميقاً. ولم أكن أستطيع أن أفهم لماذا كنت في الهند الصّينية. ما الذي كنت أفعله هناك؟ لماذا كنت أتحدّث مع هؤلاء النّاس؟ ولماذا كنت أرتدي هذه الثّياب العجيبة حقّاً؟ كان هوسي قد مات. وكان قد غمرني ودحرجني طوال سنوات، وهأنذا أحسّني الآن فارغاً».

جون بول سارتر (الغثيان)

ترجمة: سهيل إدريس

المحتوى

مقدّمة 9

سَراب دابق 19

حُلم الشام 31

مَضافة تلّ أبيض 47

أيّام الرقّة 55

عاشِقُ السَّبِيّة 69

الزّانية الهاربة 77

غزوة تَدْمر 87

مُفخَّخة بلا حور 99

دَولة الملثّمين 109

عشرون جلدة! 117

قطعُ الدُّومينو 129

آخر الحروب 141

التّولّي يوم الزّحف 153

طُفولة دورتموند 157

جهاد إمام نابل 163

في ظلال القرآن 171
إرهاب وكرة قدم! 179
عند حلّاق الحيّ! 185
شاركتُ في الثّورة 191
قصّة حبّ جهاديّة! 201
شوكة النّكاية 207
«من بوشوشة لبيت الدّوش» 215
رصاص وادي اللّيل 225
الهروب إلى الدّولة 231
كرونولوجيا «داعش» 241
الفهرس 245

مقدّمة

هذا الكتاب ثمرة لقاء غريب. مأتى الغرابة ليس في الرّواية المشوّقة، ولا في أهمّيّة وقوّة تفاصيلها فحسب، ولكن في أن يرويها فاعلُها. ربّما تكون سابقةً أن يروي شابّ عاش ضمن تنظيم «الدّولة الإسلاميّة»، أو ما يُصطلح عليه بـ «داعش»، تجربته للرّأي العامّ.

كثيرةٌ هي الشّهادات الّتي جاءت من مُقاتلي تنظيم الدّولة الإسلاميّة، تحت الضّغط وتحت وقع الأسر. هذه الشّهادة ليست بشهادة أسير ولا مضطرّ؛ إنّها شهادة حرّة؛ شهادة من الدّاخل خُطّت بحرّية كاملة دون ضغوط؛ شهادة كاملة لمسار رحلة تمّت بوعي واختيار.

الكتاب، فضلاً عن كونه رواية حقيقيّة لتجربة القتال والحياة في الرقّة وغيرها من المدن السّورية، هو أيضاً استرجاعٌ للنّشأة والطّفولة والمراهقة قبل أن يصبح محمد الفاهم، راوي الحكاية، مقاتلاً في تنظيم الدّولة الإسلاميّة. أردت فيها أن أفهم، وأراد هو أن ينقل؛ ما وقع له.

فكرتي في تأليف هذا الكتاب انطلقت مع صدور كتابي الأوّل في شباط/فبراير (2015م)، الّذي عنوانه: (**تحت راية العُقاب.. سلفيّون جهاديّون تونسيّون**). بعدها شرعت في ما حسبت أنّه سيكون الجزء الثّاني من الكتاب، وهو مواصلة الرّحلة مع قصص شباب السّلفية الجهاديّة في تونس، والتّحوّلات التي عرفوها بعد تصنيف تنظيم أنصار الشّريعة منظمة إرهابيّة في أواخر شهر آب/أغسطس (2013م). بدأت قبل هذا التّاريخ الاغتيالات،

ولحقتها فيما بعد العمليّات الإرهابيّة في تونس، وبدأ المئات من الشّباب يهاجر إلى سورية والعراق وليبيا.

زاد من ضرورة إصدار هذا الكتاب سياق الأعمال الإرهابيّة التي يعيشها العالم من حولنا؛ فطول السنوات الخمس الأخيرة شهدنا موجة من الأعمال الإرهابيّة والقتل الأعمى تحت عنوان «نصرة الدّولة الإسلاميّة».

عاش العالم، منذ صعود أبي بكر البغدادي على منبر الجامع الكبير في الموصل، وإعلانه دولة خلافته في رمضان (2014م)، مرحلةً دمويّة غير مسبوقة في تاريخ المنظّمات الإرهابيّة.

تابعنا بحزن حينها مذبحة قاعدة سبايكر في العراق في حزيران/يونيو (2014م) (1907 ضحايا)، وبعدها مجزرة مطار الطبقة في سورية في آب/أغسطس (2014م) (250 ضحيّة)، ومجزرة نزل الإمبريال في مدينة سوسة في تونس في شهر حزيران/يونيو (2015م) (39 ضحيّة)، ومجزرة باريس في فرنسا يوم (13 تشرين الثاني/نوفمبر 2015م) (130 ضحيّة)، ومجزرة مدينة أورلندو في الولايات المتّحدة في حزيران/يونيو (2016م) (49 ضحيّة)، ومجزرة اسطنبول يوم غرّة كانون الثاني/يناير (2017م) (39 ضحيّة)... دخلنا دوّامة من العنف الدّينيّ لم تنته بعد. كانت هذه ضمن مجازر أخرى كثيرة ارتُكبت زادت العالم حيرة، وأربكت النّخب والباحثين.

في مرحلة معيّنة من الأحداث التي تتالت، والبشاعات الّتي ارتُكبت، كان من المهمّ أن نفهم ما الذي يجري تحديداً في عقول هؤلاء الشّباب. مع كلّ مجزرة جديدة يرتكبها «داعش» في منطقة ما من العالم يزداد مطلب الفهم إلحاحاً.

لم تعد الإدانة والسّخط، على أهمّيتهما، كَافِيَين لفهم ما يجري. نعم يبقى للإدانة والسّخط معنى سياسيّ، وهما أيضاً ضرورة شعبيّة، غير أنّ همّ الباحث أبعد من هذا كلّه.

كان من المهمّ أن نفهم طريقة تفكير هؤلاء. ما هي حوافزهم؟ وما هي ينابيع تشدّدهم ودمويّتهم؟ هل تكفي مجرّد قراءات خارجيّة إحصائيّة (على أهمّيتها) تستند على أرقام التّهميش الاجتماعي والحيف السّياسيّ، من أجل فهم الظّاهرة؟ هل تكفي قراءة النّصوص الدّاخليّة ومشاهدة إصدارات «داعش» وكلماتهم المسموعة من أجل الوقوف على مصادر عُنفيَّة الظّاهرة؟ هل يكفي الاطّلاع على الملفّات القضائية واعترافات التّحقيقات من أجل الإحاطة بآليات التّشدّد ونوازع القتل العقائدي؟

المؤكَّد أنّ كل ما سبق مُهمّ من أجل فهم الظّاهرة، والإحاطة بجميع تعرّجاتها، واختلافات نماذجها، ومسارات الفاعلين فيها.

كنت، كغيري من الإعلاميّين والباحثين، مهتمّاً بما يجري، مهموماً بالتّراجيديا الواقعة التي منطلقها عالمنا العربي، والتي لا تهدّدنا فحسب؛ بل تهدّد كلّ مكتسبات البشريّة في العيش بِحرّية وكرامة، بعيداً عن الكراهية وأساليب الإكراه ومحاكم التّفتيش الدّينية والقتل على الهويّة.

كنت قد جمعت العديد من المواد حول ما حسبتُ أنّه سيكون الجزء الثّاني من كتابي. حاورت العديد من عائلات الإرهابيّين كما الضّحايا، وانتقلتُ إلى أكثر من مكان في تونس وخارجها، وشاركتُ في العشرات من النّدوات العلميّة من أجل فهم ما يجري.

سَكَنني هَمٌّ بَحْثِيٌّ حقيقيّ طارحاً أسئلة عدّة حول أسباب هجرة الشّباب إلى «داعش» للقتال إلى جانب تنظيم يُعدّ من أكثر التّنظيمات دمويّة ورعباً. لماذا ينجذب إليه شباب العالم عامّة، وكيف نفهم كثافة هجرة الشّباب التّونسي خاصّة، وهو الّذي يُعدّ الأكثر انفتاحاً في المنطقة العربيّة؟!

في مرحلة معيّنة من البحث كنت متيقّناً من أنّ هناك أمراً ما ينقصني هو مساءلة هذا الشّباب ذاته. بدا لي الأمر من الاستحالة بمكان. كيف لهؤلاء أن يتحدّثوا وهم الذين يكفّرون ويحاربون العالم كلّه. انتهت أغلب المحاولات

الإعلامية والبحثيّة إلى رفض قطعيّ من قِبل هؤلاء للحديث. كنّا في أغلب النّدوات العلميّة نتحدّث عنهم بضمير الغائب لسبب واقعيّ هو أنّهم لا يتحدّثون إلى الإعلام، ولا علاقة لهم بما يَعدُّونه ترفاً لا قيمة له لباحثين أشبه بالجواسيس، ويخدمون أجندات من يسمّونهم «الطّواغيت».

من المحاولات القليلة، التي تَمكّنت من استنطاق أفراد من داخل «داعش»، بالقطع، الشّريط الّذي صوّره الصّحفي الألماني يورغن تودنهوفر، الذي زار الموصل في كانون الأول/ديسمبر (2014م)، وشريط الفلسطيني البريطاني مدين ديرية، الذي سُجّل في آب/أغسطس من السّنة نفسها.

قوّة هذه الأعمال أنّها سجّلت وصوّرت الحياة تحت حكم تنظيم الدّولة الإسلاميّة أو «داعش». مثّلت هذه الأشرطة المصوّرة مادّة مهمّة في فهم «داعش» من الدّاخل، مع كثير من الاحترازات حول ترتيب زيارة الصّحفيين، وما سمح «داعش» بتصويره، وما قام التّنظيم بالتّعتيم عليه. ومهما يكن من أمر، نحن أمام موادّ ذات أهمّية لا تُضاهى من أجل فهم ميكانيزمات (آليّات) التّنظيم من الدّاخل.

في هذا السّياق نفسه، صدر باللغة الفرنسيّة، في كانون الأول/ديسمبر (2016م)، كتاب (**العائدون**) للصّحفي الفرنسي دافيد تومسون، الذي حاور فيه مجموعة من العائدين الفرنسيّين من تنظيم «داعش» الذين يخضعون للمراقبة الأمنيّة حاليّاً في فرنسا.

على هذه الأرضيّة البحثيّة الإعلاميّة تحديداً يندرج هذا الكتاب. هو يستهدف البحث في العقدة الأصعب من الظّاهرة الجهاديّة بما يعنيه من الاستنطاق الدّاخلي لها، ودفع مرتكبي الأعمال الإرهابيّة ذاتهم إلى الحديث حديثاً حرّاً اختياريّاً دون ضغوطات المراقبة الأمنيّة، ولا السّجن، من قبيل الحوارات، التي قام بها بعض الصّحفيين الأمريكيّين مع أسرى تنظيم «داعش» لدى القوّات الكرديّة في شمال سورية.

هذا الكتاب ثمرةُ لقاء غريب. ومأتى الغرابة ليس في الرواية المشوقة، ولا في أهمية وقوة تفاصيلها فحسب، بل في أن تُروى أيضاً من قبل فاعلها. ربما تكون سابقةً أن يروي شاب عاش ضمن تنظيم «الدولة الإسلامية»، أو ما يصطلح عليه بـ «داعش»، تجربته للرأي العام.

كثيرةٌ هي الشهادات التي جاءت من مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية، تحت الضغط وتحت وقع الأسر. هذه الشهادة ليست بشهادة أسير ولا مضطر ؛ إنها شهادة حرة؛ شهادة من الداخل، خُطت بحرية كاملة دون ضغوط؛ شهادة كاملة لمسار رحلة تمّت بوعي واختيار.

الكتاب فضلاً عن كونه رواية حقيقية لتجربة القتال والحياة في الرقة وغيرها من المدن السورية، هو أيضاً استرجاع للنشأة والطفولة والمراهقة قبل أن يصبح محمد الفاهم، راوي الحكاية، مقاتلاً في تنظيم الدولة الإسلامية. أردت فيها أن أفهم، وأراد هو أن ينقل؛ ما وقع له...

هادي يحمد: إعلامي وباحث تونسي متخصص في الحركات الإسلامية

ISBN 978-614-8030-69-7

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للنشر والتوزيع